

الدين عند لودفينغ فيورباخ

الأستاذ علي عليوة : علي عليوة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية سوق أهراس

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية في تسليط الضوء على بعض أعمال الفيلسوف لودفينغ فيورباخ، وبصفة خاصة فلسفته في الدين ونقده، حيث كانت فلسفة فيورباخ فلسفة متجددة أحدثت قطيعة حقيقية مع الفلسفة الكلاسيكية الألمانية خاصة أنها تزامنت مع وجود هيغل أستاذ فيورباخ ومعاصرة ايمانويل كانط وماركس فيما بعد، حيث وصف ماركس فلسفة فيورباخ بأنها "قناة النار" التي يجب أن يتطهر من خلالها كل فيلسوف.

حاولنا أن نتكلم عن البعد الفلسفي والأنثروبولوجي الذي أعطاه فيورباخ للدين واللاهوت مروراً بعملية الاغتراب عن الجوهر الإنساني وتحويله إلى الآخر، ثم توضيح مفهوم الطبيعة وعلاقته بالجوهر عند الإنسان.

كلمات مفتاحية: فيورباخ، الاغتراب، الجوهر، الله، الطبيعة

Résumé:

Cet article a pour but de faire la lumière sur certains travaux du philosophe Ludwig Feuerbach, notamment sa philosophie de la religion et de la critique, une philosophie révolutionnaire qui a provoqué une véritable rupture avec la philosophie allemande classique et qui coïncide avec la présence de Hegel et plus tard d'Emmanuel Kant et de Marx. Marx a décrit la philosophie de Feuerbach comme "le canal de feu" dans lequel chaque philosophe doit être purifié.

Nous avons essayé de parler de la dimension philosophique et anthropologique que Feuerbach a donnée à la religion et à la théologie à travers le processus d'aliénation de l'essence humaine et

de sa transformation en une autre, puis de clarifier le concept de nature et son rapport à l'essence dans l'homme.

Mots clés: Feuerbach, aliénation, essence, Dieu, nature

تمهيد:

كتب لوالده ما يلي: "لقد هجرت اللاهوت ليس عبثاً أو استهتاراً أو كرهاً ولكن لأنه لا يشبعني، لا يعطيني ما أحتاج إليه ولا أستطيع الاستغناء عنه..."¹ هي كلمات تركها لودفينغ فيورباخ ليُعبّر عن اتجاه فلسفي قاطع الفلسفة التي سبقته وموقفها تجاه اللاهوت والدين، فاتحا المجال لدراسات نقدية للدين، ليس موقفا معاديا للدين لكن على أنه أصبح لا يُرضي الذات وأصبح عاجزا عن الرد عن التساؤلات الفلسفية.

وتُعتبر فلسفة لودفيج فيورباخ فلسفة متجدّدة في قضية اللاهوت والدين، جمعت بين الإرث التقليدي والتأسيس لفلسفة جديدة، من خلال المنهج والتصوّر للعلاقة بين الإنسان واللاهوت، خاصة في كتابه "جوهر المسيحية"² *Essence du christianisme* والذي يعتبره الكثيرون ثورة حقيقية وقفزة مفاهيمية في فلسفة الدين والفكر الديني عموماً.

فلسفة فيورباخ أحدثت قطيعة حقيقية بين الفلسفة الكلاسيكية والفلسفة الحديثة، فهي الممر الذي يجب على كل فيلسوف أن يصلق فلسفته فيه، رغم أنّ الدراسات الفلسفية الحديثة والمعاصرة لم تعطي الرجل حقّه من العناية والتأمل في كل ما قاله.

¹ رسالة فيورباخ لوالده سنة 1824 كتاب أصل الدين، ترجمة أحمد عبد الحلیم عطية، ط1، 1991، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.

² Ludwig Feuerbach , *essence du christianisme*, traduction de l'allemand par Joseph roy. Paris 1864.

1- من هولودفينغ فيورباخ:

اسمه الكامل لودفينغ أندرياس فيورباخ Ludwig Andreas Feuerbach فيلسوف وأثنروبولوجي ألماني وُلد في 28 جويلية 1804 في لاندشوت ولاية بافاريا الألمانية، كان والده محامي معروف آنذاك، التحق بالمدرسة الثانوية وقرر تكريس نفسه لدراسة اللاهوت البروتستانتي، استمع لمحاضرات كل من دوب Daub وبوليس Paulus في جامعة هيدلبورغ حيث خرج بعد ذلك خائبا من سماع محاضرات تلمح لإمكانية التوفيق بين الفلسفة والدين.

انتقل إلى برلين ودرس في جامعة إيرلانجين، ودرس عند هيغل، فخاب ضنه مرة أخرى، وقرر التخلي عن اللاهوت لصالح الفلسفة فأنتفض على فكر هيغل ورفض أفكاره، وتمرد عن مثاليته، وبعد نشر أطروحته سنة 1928 تمّ تعيينه في قسم الدراسات الخاصة في نفس الجامعة، حيث درّس من 1929 إلى غاية 1932، وفي عام 1930 ظهر مقاله "أفكار حول الموت والخلود"¹ يخلص فيه أنه يجب إنكار خلود الذات والعوالم الأخرى التي ترتكز عليها الأديان وبالتالي المطالبة بالإلحاد، هذا المقال الذي كان باسم مستعار، لكن سرعان ما حتمّ زملاؤه في هوية كاتب المقال وطروحاته التي لا تختلف وتوجهات فيورباخ، هذا المقال الذي سيحرمه من كرسيه في الجامعة.

تزوج فيورباخ من برثا لاو Bertha Loöw وريثة قلعة بريكبورغ ومصنع الخزف، ليبدأ فيورباخ حياة جديدة بالدفاع عن آراءه الفلسفية وحشد الهيجليين اليساريين، ثم يعود للاهتمام بالكتابات الدينية واللاهوت، ليتوج بكتاب "جوهر المسيحية" سنة 1841 حيث لاقى الكتاب نجاحا كبيرا بإصدارين سنة 1842 و1848، ثمّ الرسائل المؤقتة لإصلاح الفلسفة² سنة 1842 وكتاب مبادئ فلسفة المستقبل¹ سنة 1843.

¹ Ludwig Feuerbach, *Pensées sur la mort et l'immortalité*, trad par Christian Berner, Préface par Alexis Philonenko, 1991.

² Ludwig Feuerbach, *Pour une réforme de la philosophie*, trad Yannis Constantinides, mille et une nuit, 2004.

في سنة 1945 بكتابه "محاولة في الدين" بدأت تظهر جليا نزعة فيورباخ الطبيعية وتخليه عن النزعة الإنسانية، ولم يعد الله انعكاسا للكمال البشري فقط بل تجاوزه لانعكاس الطبيعة ككل، حيث كانت تلك الحقبة الزمنية - التي واكبت كل من ايمانويل كانط وجورج هيغل ثم كارل مارس في فارق زمي قصير- بمثابة فترة محاولة الفلسفة للتخلص من الفكر الديني والكهنوتي وذلك الحصار الذي يفرضه الدين على الفلسفة والفكر والحياة الاجتماعية بصورة عامة رغم أنّ سطوتها أصبحت محدودة بعد عصر التنوير، إلا أنّ الفلسفة مازالت آنذاك تعاني غلبة الفكر اللاهوتي أو لتقل محاولة إرضاء الدين على حساب الفلسفة.

ينتقل فيورباخ في سنة 1860 إلى منزل ريفي في ريشنبورغ Rechenberg بعدما أعلن إفلاسه ماديا، وكانت آخر أيامه مليئة بالخاوف المادية، حيث توفي في 15 سبتمبر 1872 ودُفن في مقبرة القديس جون وأقيم له نصب تذكاري سنة 1931 كُتب عليه عبارات لفيورباخ "افعلوا الخير لمحبة الإنسان" و "خلق الإنسان الله في صورته".

2- بين فيورباخ وهيغل: تجدر الإشارة إلى أنّ فيورباخ انتسب إلى كلية اللاهوت في جامعة هيدلبرغ لشغفه بدراسة اللاهوت والدين، لكنّه سرعان ما أقلع عن الدراسة ولم يكمل سنة واحدة، خاصّة بعدما استمع إلى محاضرة كان قد قدّمها هيغل عن اللاهوت والطبيعة والخلق، فرفض فيورباخ كل طروحات هيغل التأمليّة، وأنتقد بشكل حاد الطبيعة المثالية للجدل الهيجلي، ورفض التيار القائم آنذاك والذي يدعي بالتوفيق بين الفلسفة والدين، وقد فتح هذا الطريق إلى الاستفادة من المضمون العقلي للفلسفة الهيجلية، وساعد في هذا الصدد على تشكيل الماركسية. وقد كان المضمون الأساسي لفلسفة فيورباخ إعلان المادية والدفاع عنها، حيث أعدّ كتابا كاملا لنقد فلسفة هيغل تحت عنوان "دراسة في نقد فلسفة هيغل" سنة 1843، "حيث يمكن القول أن فيورباخ اقترب من فلسفة هيغل

¹ Feuerbach, *Principes de la philosophie de l'avenir* (noté PPA) [in] *Manifestes philosophiques* (noté MP), tr. fr. L. Althusser, Paris, PUF, 1973, p. 134.

بطريقة منظمة ومنتظمة، النقطة تلو الأخرى، والأطروحة تلو الأطروحة... تابع التحليل الهيجلي في خطوطه الرئيسية فيما يخص المسألة الدينية، ففيورباخ يسعى إلى تحديد موقفه الشخصي ضد هيغل من جهة، ومن جهة أخرى أخذ بعين الاعتبار التقارب الفكري والسياسي والتي تُعطي للتراث الهيجلي أهمية كبرى¹.

قدّم فيورباخ فلسفة دينية متجدّدة بُنيت على نقد الفلسفة الكلاسيكية خاصة التأملية لهيغل، والذي يصف الإله بكونه كل متكامل لا يمكن تجزيته ولا حدود لذاته " الله هو كليته، هو هذا الكلي والذي فيه لا يوجد حد، والذي فيه لا يوجد تناهٍ، والذي فيه لا توجد جزئية بذاته، هو بألف لام التعريف المطلق المكتفي بذاته، هو الواحد بألف لام التعريف المكتفي بذاته الأوحد، وما يتواجد له جذره، له بقاؤه في هذا الواحد الأوحد"² وهذا ما لم يتقبله فيورباخ فكانت فلسفته اللاهوتية بمثابة نهاية للفلسفة الكلاسيكية الألمانية وهذا ما تناوله فريدريك أنجلز في كتابه "لودفينغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية" حيث أشار إلى أنّ أفكار فيورباخ الفلسفية كانت مغايرة تماما للفلسفة الكلاسيكية الألمانية، حيث شطرت فلسفته آنذاك الفلسفة الهيجلية وشكّلت جناحين:

أ- جناح محافظ يمين حاول المحافظة على أفكار هيغل وتمسك بها وأقر بعدم وجود تناقضات في فلسفته وأصبحت الفلسفة الرسمية لبروسيا، وللإلهيين الذين يؤكّدون على وجود الإله والنفس البشرية وخلودها .

ب- جناح مجدد منتفض يسار آخر يرفض تماما التصورات اللاهوتية قاطعا لفلسفة هيغل وبناءاتها النظرية وتصوراتها، ورافعا لشعار وحدة الوجود والإلحاد، بل وكان يسعى لفصل الفلسفة عن الدين تماما، أي أنّ التوفيق بينهما أمر عبثي لا

¹ Ludwig FEUERBACH, *Manifestes philosophiques* (Thèses provisoires pour la réforme de la philosophie), éd. cit., p. 106.

² فريدريك هيغل: محاضرات في فلسفة الدين، ج 3 فلسفة الدين، مكتبة كلمة، ترجمة مجاهد، ط1 سنة 2002، القاهرة، ص ص 14 . 15

يمكن قبوله، وكان هذا التيار اليساري -حسب اعتقادي- نقطة مفصليّة في الفلسفة بصفة عامة والفلسفة الكلاسيكية الألمانية بصفة خاصة، حيث بنت وساهمت الفيورباخية بعد ذلك في فتح المجال للدراسات الفلسفيّة الجادة والبناءات النظرية التي ساهمت بقسط كبير في صنع الحضارة التي نراها اليوم.

كان الصراع بين اليمين واليسار يبدو واضحا، سواء على المستوى السياسي أو الفلسفي، لكن بعد مدّة حوّل التيار المحافظ هذا الصراع إلى صراع ديني ومحاولة التوفيق بين الفلسفة والدّين، وهذا هو السبب الأساس في انقسام التيار الهيجلي إلى يمين ويسار، في إشكال جوهري شكله العام يدور حول كيفية فهم العلاقة بين الفلسفة والدّين، حيث اعتبر هيجل أن الدّين والفلسفة متطابقان في المحتوى ومختلفان في الشّكل كما حاول هيجل أن يوفّق بين البروتستانتية والفلسفة لكن كان له فيورباخ بالمرصاد ففضح مغالطاته وفشل أطروحته، كما كانت طروحات (ماركس، دافيد ستروس Strauss، وبارو Bruno Bauer) تدعم أطروحة فيورباخ لوجوب استقلالية الفلسفة عن الدّين، وقد فصل كارل ماركس بعدها في الجدل بين اليمين واليسار الهيجليين في مقولته الشهيرة والمختصرة بعد الفصل بين الجناحين قائلا "إنّ نقد الدّين هو الشرط الأوّل لأيّ نقد"¹، فموضوع برونو بارو هو نقده للتاريخ الانجيلي، وهذا يعني للمسيحية والكتاب المقدس، أما دافيد ستروس حول العقيدة المسيحية وحياة يسوع ... أما أنا على العكس أعتبر المسيحية بصفة عامة هي نتيجة للاهوت المسيحي"².

ورغم تأثر هيجل بالدّين وتأثيره عند اليونان حيث كان دينهم مرجعية قوية في فلسفته في الدّين، حيث كان الدّين آنذاك قوة عصريّة تماشى ومتطلبات الحياة في التجديد والنهضة والعلم، قائلا في "شذرة توبغن" لا يجوز تعلم الدّين من الكتب ولا أن يقتصر على العقائد الجامدة، أي لا يجب أن يكون الدّين لاهوتيا بل الأخرى أن

¹ Karl Marx, *Contribution à la critique de la philosophie du droit de Hegel*, (trad. V. Béguin et al.), Les Éditions sociales, coll , Paris, 2018, p348.

² Ludwig Feuerbach, *essence du christianisme*, Op.cit, p. 111.

يكون قوّة حية تزدهر في الحياة الواقعية للشّعب في عاداته وتقاليده وأعماله واحتفالاته، يجب أن يكون شعيبا عاما لا كهنوتيا خاصا، لا يجب أن يكون الدّين أخرويا بل إنسانيا دنوييا، وعليه أن يمجّد الفرح والحياة لا أن يُمجّد الألم والعذاب والحياة الأخرى"2.

هذه الكلمات لخص هيغل جوهر الدّين وغاياته في شروط أساسية يمكن تلخيصها فيما يلي:

أ- مواكبة الدّين للعصر: إنّ الأديان التي تبقى حبيسة أزمان غابرة وعقائد جامدة لا ترضى التغيّر والتغيير أديان مألها إما الزوال أو نقل الشعوب والمجتمعات إلى مرحلة متأخرة من التطور ومواكبة الحضارة الإنسانية والعلمية، لذلك يرى هيغل أن الدّين لا يجب أن يكون لاهوتيا يرتبط بأزمان أخرى أو بحياة وأبعاد أخرى غير الحياة الواقعية وأن يكون قوة ازدهار حقيقية ترفع مستوى الحياة في العمل والعادات والتقاليد.¹

ب- ابتعاد الأديان عن الكهنوتية: كهنوت المعابد "تاريخيا" اختزلوا الدّين من الممارسات الشعبية الطبيعية إلى ممارسات خاصة يعلم فحواها إلا هم، فهم بمثابة صلة الوصل بين الدنيوي واللاهوتي، بين الإنسان والله، بين الإنسان والحياة الأخرى، بين الإنسان والدّين في حدّ ذاته، لذلك تتم خوصصة الأديان في كلّ مرة حسب توجهات الكهنوت، وكلما اختلفت مصالحهم انبثقت تيارات جديدة من نفس الدّين.

لذلك يعتقد هيغل أن الأديان في جوهرها وحقيقتها "شعبية" عامّة، لا يختص فهمها بفئة معينة ولا تنتهي لفصيل دون الآخر، بل هي ممارسات شعبية طبيعية دون منظرين ولا وساطات.

ج- الدّين للحياة وليس للموت: دائما ما تركّز الأديان على فكرة الموت – ذلك الألم المطلق – كما تصوّرها، وفكرة الألم بعد الموت والعذاب، وهي حتى وإن تكلمت

¹ Ukács, " *Le jeune Hegel*". in *les rapports de la dialectique et de l'économie*, tr. G. Haarscher et R. Legros, Paris, Gallimard, 1981, t. 2, p. 319-320.

عن الجزاء والراحة والمتعة، فهي تربطها بتعاليمها وأوامرها ونواهيها وإن كانت تخالف الإنسانية والأخلاق، لأنها أخلاق ليست لذات الأخلاق بل أخلاق لذات الجزاء والطمع، ضف إلى ذلك فهي أخلاق مغلّفة بالقداسة يمكن أن تُشرعن القتل والسرقه والاعتصاب تحت أيّ مسمى ديني أخلاقي.

ربط الدّين بالحياة يجعله أكثر واقعيّة عند هيغل، يمجدّ الإنسانية بأسى صفاتها ويهب الفرح ويُعطي الطاقة الايجابية المرتبطة بالحب والتسامح والعمل لأجل التطوّر والازدهار، لا أن يكون مكتنزا بالطاقة السلبية والتذكير بالموت والألم المطلق والعذاب.

رغم كل ما كتبه هيغل عن الدّين، لكنّه لاقى نقدا من فيورباخ كون المحتوى الدّيني يحمل طابعا بشريا وأن سرّ اللاهوت هو الأنثروبولوجيا وأن الطبيعة الإلهية التي تتكلم عنها الأديان ما هي إلا الطبيعة البشرية والظواهر الطبيعيّة، إذا يعتقد فيورباخ أن محاولات هيغل في اللاهوت ما هي إلا محاولات أخيرة لإنقاذ المسيحية من السقوط بالفلسفة، قائلا "فلسفة هيغل هي آخر محاولة لإعادة المسيحية التي سقطت وماتت بالفلسفة"¹⁰، كانت هذه الكلمات التي أطلقها فيورباخ على فلسفة هيغل المثالية بمثابة نقطة فاصلة في تاريخ الفلسفة، وكانت تحصيل حاصل للتطور الفكري والفلسفي لمجموعة من المتغيرات أهمها ما قدّمه فلاسفة التنوير والذي عزّفه ايمانويل كونط على " أنه خروج الإنسان عن مرحلة القصور العقلي وبلوغه سن النضج أو سن الرشد"، هذا القصور العقلي الذي كان الدّين دائما يدّعي أنه يملك أدوات إكماله، فقد كان خاضعا له، وما حقبة التنوير إلا نضج عقلي و سن رشد حقيقي للعقل ساهم فيها الكثير من الفلاسفة أمثال مونتيسكيو، جون جاك روسو، فولتير، سبينوزا وغيرهم ... ثمّ الثورة الفرنسية والإعلان عن تأسيس الجمهورية الفرنسية سنة 1792 والتي ساهمت بالإسراع قيام الجمهوريات والديمقراطية وساهمت في انتشار مفاهيم جديدة مثل الليبرالية والحرية وحقوق المرأة والعلمانية، وقمعت النظام الإقطاعي وقضت عليه، واشتهرت المقولة التاريخية آنذاك "لن يعم السلام إلا إذا سُنق آخر إقطاعي بأمعاء آخر رجل دين". تُنسب هذه

المقولة أحياناً عن طريق الخطأ ل فولتير، ولكن صاحبها هو جان ميسليير اللي مات قبل الثورة الفرنسية بـ 60 سنة. والمقولة الأصلية هي " عندي أمنية، ربما آخر وأهم أمنية في حياتي، وهي أن يُشنق آخر ملك بأمعاء آخر رجل دين ". الجميل أن ميسليير نفسه كان رجل دين ويعرف الفساد الذي أدخله رجال الدين للسياسة ، وهذه المقولة التي تشير للحرب على عنصرين هما الملك أو الإقطاعي ، ورجل الدين ... كانت هذه الأحداث التاريخية كما ذكرنا تراكما كان سيؤدي حتما لتجديد فلسفي بدأت ملامحه تظهر جليا في فلسفة فيورباخ.

لقد كانت انتقادات فيورباخ لهيغل منطلقة من خلفيّة فلسفيّة، للحفاظ على منهجها وعدم إدخالها في الصراعات الدينيّة والتحيّزات المذهبيّة كما اعتقد أن هيغل فعل ذلك، فقد وجّه له اتهامات صريحة بأنّه يحاول مساعدة المسيحية من خلال التوفيق بين الدين والفلسفة وهذا ما رفضه فيورباخ فلا يمكن ذلك، خاصة أن عصر التنوير كشف الكثير من المغالطات، ووضع حدا لسيطرة و سطوة الأديان على الحياة الاجتماعية وعلى الفكر عموما، وهكذا يجب إرجاع الفلسفة إلى سكّتها الحقيقيّة بعيدا عن التحيّز وعن تحميلها ما لا تطيق.

بالنسبة لفيورباخ، كان من الواجب خلق فلسفة تأمليّة لا تخضع للدين وليست حبيسة الآراء اللاهوتية والدينية النمطيّة مثلما هو حاصل في حقبة، وبالتالي نقد الدين وحصاره من الخارج بطريقة موضوعيّة عن طريق استخلاص الحقائق التي يحتويها ومصدرها أيضا، بالطريقة التي تستخدمها "الكيمياء التحليلية"... هذا النقد والحصار لم يعد مسألة استعراضية انتقادية لا غير ، بل هي مسألة معرفة حقيقة الدين وتوضيح ألغازه، يعني أن يكون التحليل نقدي وتفسيري وهذه المقاربة تؤدي إلى رؤيا جديدة كليا للدين ونؤدي عملا تحزّريا تنويريا بعيدا عن المهاترات، بل تؤدي عملا علاجيا.

كما اعتبر ماركس أن فيورباخ هو "قناة النار" التي يجب أن يتطهر من خلال كل فيلسوف وكل فلسفة تسعى للانتقال من المثالية إلى الواقعية، ومن الدفاع عن

الدين واللاهوت إلى نقدهما، في رسالة إلى أن الفلسفة قد وضعت حدا فاصلا بين الكلاسيكية والحديثة التي ترفض الانصياع لأيّ أوامر وتهتم بالنقد والتحليل.

3- **الله عند فيورباخ:** إنّ التصوّر الفيورباخي لله تصور فلسفي أنثروبولوجي، يتعلق بالإنسان وعلاقته بذاته ومحيطه وبهذا الوجود، "فالله هو الكائن الذي يحتوي على الكل وكلي وغير قابل للتغير ولكنه هو نفسه الشمس التي تشرق على كل الناس والكائنات وعلى الأرض وهو نفسه السماء التي تحتوي عليها كلها وهو نفسه الأرض التي تحملها كلها"¹، إنه يشير للطبيعة التي تفرض سطوة قوتها وسحرها على العقل البشري الذي يتأمل في كل تفاصيلها وهو جزء لا يتجزأ من هذه الطبيعة التي يجد في نظامها وقوتها وانسجامها الكثير من التساؤلات أبرزها المسبب والأسباب، ويبحث لها عن اله، وهذا الإله كائن لا يمكن تخيله ولا تحديد معالمه ولا إدراكه في كل هذا الوجود لكنه متوفر في المنظومة الفطرية البشرية، التي هي في حاجة إلى كائن آخر أقوى هو اله الكون أو الطبيعة ذاتها التي يعبر الإنسان عن قدسية تمظهراتها وتجلياته "هي روح الإنسان وخياله ونفسه التي تنتقل بذاتها طواعية إلى الطبيعة وتجعلها رمزا ومرآة لكيثونة الإنسان"²، لذلك كان انتقال الإنسان من فكرة الجوهر إلى فكرة المسبب والعلة مشكلة حقيقية، فهو أعطى العناية أكثر بتفاصيل المسبب وأهتم به أكثر من الجوهر، أي أنه يفكر في السبب قبل التفكير في الماهية والجوهر أولا ... لذلك فهو يفكر في سبب وجود الطبيعة ومنظومتها وشكلها وألوانها دون التفكير في الطبيعة في حد ذاتها، جوهرها ووجودها، لذلك انتقل بطريقة مباشرة وآلية للبحث عن الخالق القوي المبدع، هذا الخالق الذي صنع له الإنسان صورة في مخياله وفرضها على وعيه ، فأصبح الإنسان هو الخالق هذا الخالق دون أن يعي ذلك، لأنّه اغترب عن جوهره الذي أصبح ذلك الآخر.

¹ لودفيج فيورباخ، جوهر المسيحية، ترجمة أحمد عبد الحليم عطية. المؤسسة الجامعية

للدراستات والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى 1991 ص 48

² المرجع نفسه، ص 48.

إن انتماء الإنسان للطبيعة، واعتقاده بأنه جزء مهم منها، جعله دائماً يفكر في صلته بالطبيعة كفاعل حقيقي « نحن نعيش داخل الطبيعة وعلى الطبيعة وبواسطة الطبيعة فهل يجب علينا مع ذلك ألا نكون منها؟ يا له من تناقض! »¹، لذلك مصدر الأديان عند فيورباخ ينطلق من التبعية الطبيعية للإنسان للطبيعة، ووجود الله مبني على وجود الطبيعة على الأقل عند الإنسان المتدين ، ويبدو أنه يختلف عن الطبيعة لكن يحمل كل صفاتها "فهو ليس في الأصل سوى الطبيعة أو جوهر الطبيعة، ولكن الطبيعة كموضوع للعبادة، وككائن رؤوف ذي إرادة"²، فالله هو الكائن الرحيم على الجميع لأنه يجعل الشمس تشرق على الخير والشر ويرسل المطر للعدل والظالم ولكن هذا الكائن لا يميز بين الخير والشر والظالم والعدل والذي يوزع متع الحياة ليس طبقاً للصفات الأخلاقية والتي تترك أثرها العام على الإنسان ككائن طيب بسبب آثار مثل ضوء الشمس المنعش ومياه المطر كمصدر للأشياء المحسوسة الأكثر نفعاً "هذا الكائن هو الطبيعة".

كما أنه ذلك الكائن القوي الجبار الذي يرسل الأعاصير والزلازل والبراكين، ويخسف الأرض بالصالح والظالم، بل وبالأطفال ودون تمييز، إنه الله الذي يعاقب عباده كما يعتقد المتدين وهو لا يعي أن الطبيعة تفعل الأفاعيل في كواكب أخرى خالية تماماً من أمثال جنسه ... إنها الطبيعة، تلك التي يسميها أيمانويل كانط "العناية الإلهية" نظراً إلى القصدية التي تتجلى في سياق صيرورة العالم، والتي تعبر عن حكمة عميقة ناجمة عن علة عليا ، و بين تتابع الهدف النهائي الموضوعي للجنس البشري، و ترتب مجرى الأمور مسبقاً"³ بمثل هكذا تعريف كانت الفلسفة

¹ المرجع نفسه، ص 48.

² لودفيج فيورباخ، مرجع سبق ذكره، ص 75.

³ مانويل كانط، نحو السلام الدائم، ترجمة، نبيل الخوري، دار صادر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1985، ص 5.

الكلاسيكية تُعنى بالموائمة مع اللاهوت في كل تحليلاتها دون أن تُعطي مبررات لهذه التفسيرات التي تبقى في خانة الحفاظ على ماء وجه الأديان.

إنّه التمييز الذي خلقه الإنسان لشيئين يتطابقان في الفعل ويختلفان في التصور، لذلك يحاول العلم دائما تفسير الظواهر الطبيعية بما يقابلها من طبيعي وعلمي ويبقى كل ما هو مجهول إلى البحث والتجريب، بينما تفسر الأديان الطبيعة بتفسيرات خرافية وتمنح لها صفة السببية، لذلك تلجأ في كثير من الأحيان إلى تفسير المجهول بالمجهول.

إن الإعجاب الديني بالحكمة الإلهية في الطبيعة مجرد حماس طارئ، وهو إعجاب يشير فقط إلى الوسائل ولكن هذا الإعجاب ينتهي بالتأمل في أهداف الطبيعة»، فكثيرا ما يستند المتدين إلى الحكمة من الدقة المتناهية في الكون والطبيعة، شكلها وألوانها وهولا يعي أنه يتكلم عن الطبيعة ذاتها ويخلق لها خالقا في خياله، بل ويصنع عوالم أخرى "... في حين أن الموحدين من جهة أخرى يجعلون الأشياء الخيالية والأفكار أشياء حقيقية، أو يجعلونها جوهر العقل والإرادة والخيال أو كائنا علويا مطلقاً¹.

فلا يمكن البحث عن الله في مكان معين، أن يكون جالسا في مكان ما، أو أنه يراقب أفعالا وتصرفات بعض أو كل الناس، لكن يمكن أن نبحت عنه في خيال الإنسان وقلبه وادراكاته للأشياء، فهو يخلقه في ذاته لأنّه بحاجة إليه ليتعدى خوفه وتعاسته ويجعله من يقرر مصيره وقدره وحياته وموته، بل وما بعد موته ... لكن بمجرد أن يتخطى الإنسان هواجسه وأفكاره ومخاوفه، فسيبدأ حتما في صناعة نفسه بدل صناعة اله، ليقرّر مصيره بناء على قوانين حقيقية وحضارة يصنعها بيده، وطبيعة يتحكّم فيها، لذلك يركز الدّين دائما على الإيمان، فيقول فيورباخ في ذلك أن تؤمن معناه أن تتخيل أن هناك شيئا موجوداً وهو غير موجود في الواقع أي أن تتخيل أن صورة ما نبعت فيها الحياة أو أن هذا الخبز لحم والدم خمر أي تعطى

¹ لودفيج فيورباخ، مرجع سبق ذكره، ص 91.

له صفات ليست فيه . لذلك أي دين مهما كانت عظمته يخفق إذا أردت أن تجد الله أو أن تبحث عن الله في الفلك عن طريق التليسكوب أو بعدسة مكبرة في حديقة واسعة أو تبحث عنه في طبقات الأرض أو تبحث عنه بمشروط التشریح أو الميكروسكوب في أحشاء الحيوان أو الإنسان ولكنك تجده فقط في إيمان الإنسان في خياله وعقله وقلبه لأن الله بنفسه ليس شيئاً سوى جوهر خيال الإنسان وقلبه، لذلك فمفهوم "الإيمان" هو المفهوم الوحيد الذي يقلب الوهم حقيقة ويجعل ما لا يُرى مرئياً وما يُرى غير مرئي، يستبدل المفاهيم ويغيرها، ويجعل اللامنطق منطقاً، والمنطق لامنطق ... إنه ببساطة "الإيمان"!!! فالطبيعة الإنسانية تمّ نفماً بواسطة الثيولوجيا والسجلات الإيمانية، والخروج من هذه المهاترات لا يكون إلا عن طريق النقد والعلم حيث يقول فيورباخ " لقد كان شغلي الدائم أن أميز الأماكن المظلمة للدين بمصايح العلم حتى يمكن للإنسان ألا يقع فريسة القوى المعادية التي تستفيد من غموض الدين لتقهر الجنس البشري"¹، فكلما زاد التطور العلمي وزادت بوتقته تقلصت بوتقة الخرافة والدين، وما كان بالأمس يُعتبر ديناً أصبح اليوم خرافة.

4- المفهوم الأنثروبولوجي للدين: للخروج من مأزق المغالطات والمهاترات المنهجية، يجب نقد الدين بالمقاربات النظرية أو الفلسفية، نقد الدين بالفلسفة أو السوسيولوجيا أو الأنثروبولوجيا هو عين الصواب، هذا النقد الذي يهدف إلى نقد جوهر الدين، أيّا كان هذا الدين، ليسعى الإنسان في الأخير لفهم ذاته وإدراكها في هذا الوجود ومآلات هذا الوجود، بالمقابل فهم الآخر ووجوده في شراكة وجودية، ليعلم أن الله ليس إلا تضخيم وإسقاط Extériorisation للجوهر الإنساني. يتعرّض فيورباخ في مقدّمته إلى عملية مزدوجة، في الأولى يعرف الإنسان من خلال متغيرين هما الجوهر والموضوع، والثانية يبيّن فيها أن الدين هو إثبات لهذه

¹ Jean, Passeron, philosophie et religion, puf, Paris, 1881, P122.

العلاقة، هذا الإنسان الذي له نوع خاص، وجوهر خاص" ¹، وكون الإنسان هو جوهر هذه العملية يُطلق فيورباخ مفهوم الأنثروبولوجيا على هذه العملية، فتمت دراسته خارج القيم الدّينية التي ينفر فيها الإنسان نفسه لصالح الدّين، هذه الدراسة المفصلة تماما عن الدّين، بل تعتبر الدّين ثانويا أمام الجوهر "الإنسان"، إذن فهي لا تأخذ عصبيتها من الأديان بل من فلسفة الأنثروبولوجيا وتعتبر الدّين موضوعا أقل شئنا من الجوهر الأساس والموضوع في علاقة الإنسان بالدّين.

إنّ تضخيم الإنسان لذاته وإسقاطها عند فيورباخ موضوع أساسي في كل كتاباته إن لم نقل جوهر كتاباته وقد شرّحه على الشكل الآتي "الإنسان - هذا هو سر الدّين - يرمز لوجوده - ثمّ يصنع من ذاته موضوع لهذا الكائن المعقد، الذي تحوّل إلى موضوع، شخص" ²

فالدّين إذا هو حلم العقل البشري، أحلام اليقظة ... حيث يُسقط الإنسان ذاته على ما هو موجود في الدّين، وهذا الإسقاط هو عنصر أساسي ومهم في النشاط العقلي البشري منذ الظروف البدائية لنشأته، وهو الشكل الأوّل والعفوي والطفلي من وعيه لذاته. وهذا الوعي لذاته هو وعي غير مباشر لأنه يحصل في عدم دراية تامة لما يدور في وعيه وذاته ويصنع الوهم l'illusion و الغموض الذاتي l'auto-Mystification ، ولا يمكن أن نتكلم فقط على الاغتراب فقط، وليس تضخيم وإسقاط الذات الإنسانية Extériorisation خارج الوعي، لكن من خلال وعي الإنسان لذاته إلى أن "يصبح أجنبيا" "devenir-étranger" أو أن "يصبح آخر" "devenir-autre" عن ذاته ونفسه ووعيه، فهو انعكاس مقلوب واغتراب عن الذات، لذلك يقول فيورباخ أن الله في البداية هو الانعكاس الخفي وهو الهيئة الجنس البشري، فهو يجسّد الذات والروح البشرية بعيدا عن فردانيتها وانتمائها، وبهذه الطريقة يمكن فهم الإله المسيحي الذي عكس ذاته وضخّمها وأسقطها فأصبح إلهها، فما يعبد

¹ Laurent Giassi , "Feuerbach et le passage du spéculatif au spéculaire " in Philopsis : Revue numérique , p 5.

² Ludwig Feuerbach, Op.cit., 147-148

الإِنسان في الله إلا نفسه ألوهيته وما يطمح إليه، وهو يستخرج ذلك من ذاته بطريقة لاواعية، لذلك ففكرة الله هي تحقيق -بطريقة مثالية- ما هي ذاته وما يحب أن يكون، فيشكل الله فكرة التعويض لديه، ويعتقد أنه بهذه الطريقة يحقق تطلعاته بنفسه واثقا بالله أنه سيحققها.

يُعطي فيورباخ بُعدين للإِنسان، البُعد الأول للأشياء التي يتفاعل معها هذا الأخير ، تؤثر فيه ويعتمد عليها وهو ما يرتبط بالطبيعة الماديّة في علاقة واضحة المعالم أثر وتأثر وتفاعل وهو في هذه الحالة "موضوع" حقيقي والبُعد الثاني، هو أن يصبح الإِنسان شيئاً ثانوياً، أو كائناً خيالياً بين يدي الله، والدّين يُعطيه آليات تنفيذ تطلعاته ويرسم له أهدافه بدل أن يرسم بنفسه واعتماداً على قدراته، وأن يبحث دائماً في أن يُحرّر نفسه من التمثيل لنفسه، فالإِنسان يجب أن يصبح "إنساناً كاملاً" من خلال إعادة قراءة هدفه ورسم معالم الوصول إليه بنفسه.

لقد اعتبر فيورباخ أن الإِنسان هو المصدر الأساس للدين فهو يعكس ذاته - والتي هي الموضوع- في ذات الله، ليصبح الله هو الموضوع، فينتقل الإِنسان من الاهتمام بنفسه التي هي في الأصل موضوع اهتمامه، إلى إسقاطها في الخارج على شكل اله ثم محاولة فهمها، فيصبح الإِنسان في هذه الحالة مفصّلاً ومستقلاً تماماً عن هذا الإسقاط ويصبح أقل شأنًا، لذلك اقترح فيورباخ قلب المعادلة، حيث يجب على الإِنسان أن يُرجع ذاته إلى المكان الصّحيح لتصبح موضوعاً حقيقياً، وأن يُؤكّد في ذاته ما يجب أن يُنكره على الله، وعليه أن يعرف ذاته من خلال محاولة الإسقاط Projection هذه، ثمّ استعادة ذاته Réappropriation ، لذلك اعتبر فيورباخ أنّه حينما يعتبر الإِنسان أن ذاته هي الآخر في عملية الإسقاط والتضخيم، يصبح الإِنسان اله الإِنسان (l'homme est un dieu pour l'homme). فالإِنسان يسعى إلى إعادة صياغة قواه وحياته وأماله وما يسعى إليه، ويبحث عنها في اله.

بهذه الصيغة التي أَلّفها فيورباخ يخرج نقد الدّين من بوتقة نقده باللاهوت والدّين إلى مقاربة فلسفية ولنقل أنها "أنثروبولوجيا فلسفية" حيث تبحث هذه الفلسفة في من يكون الإِنسان؟ وهنا يبدأ البحث عن علاقة الإِنسان بذاته وعلاقته

بالآخر والوعي مقارنة بغيره من الموجودات، وعلاقة الإنسان بذاته والطبيعة هي أهم ما يميّز مدخل الأنثروبولوجيا الفلسفية الخاص بفيورباخ. إنَّ بوجود المتدينِّ وُجد الدِّين، وُوجد معه الإله، وعدم وجودهم أيضا يقضي تماما على فكرة الدِّين والإله حسب فيورباخ في قوله الله يتنبأ بوجود الذين سيعبدونه والله هو الكائن الذي لا تعتمد فكرته أو تصوره على الطبيعة وإنما على الإنسان وعلى الإنسان المتدين، فالشيء الذي يعبد لا يوجد بدون ما يعبده أي أن الله شيء يتفق وجوده مع وجود الدِّين ويتفق جوهره مع جوهر الدِّين، فكلمة كانت الحياة خاوية، كلما كان الإله ممتلئاً وعينياً. إن إفقار العالم الحقيقي وإغناء الإله هو نفس الفعل. الإنسان الفقير وحده هو الذي يحوز على إله غني. الإله ينشأ من الشعور بالحرمان، كل ما يحتاجه الإنسان، سواء كان هذا الاحتياج واعياً أو غير واع، فهذا هو الإله... وبالتالي فإن الشعور البائس بالفراغ والوحدة يحتاج إلهاً به يجتمع، وحدة من الكائنات المحبة لبعضها.¹

5- من خلق خلق من؟: إنَّ هذا التساؤل الوجودي المؤرَّق للذات البشرية والذي يلجّ في كلّ مرة على الإنسان الذي يبحث عن ذاته ويرفض كل فكر معلب ومتكسّس في مسألة الخلق، فالأديان ترسم صورة بدائية للخلق، بل وترفض مجرد التساؤل بهذه الطريقة، بينما يطرح الفكر الفلسفي المنفصل تماما عن الموائمة اللاهوتية وعن إرضاء كهنوت الدِّين والمتدينين بسؤال أين الإنسان من كلّ هذا ؟ هل فعلا للإنسان خالق واله؟ هل خلق الله الإنسان أم خلق الإنسان الله ؟ "لقد خلق الإنسان الله، على الأقل الله الذي يؤمن به، وليس الله الذي خلق الإنسان _ هذه هي الحقائق المكتسبة اليوم _ لقد خلق الإنسان الله في صورته ومثاله وقام بتوسيعه وتضخيمه إلى الحد الذي لا يمكن للعقل البشري تصوّر أبعاده"² وهذه ترجمة فلسفية للواقع تتلاقى في كل نقاطها مع التصور الفيورباخي

1 Ludwig Feuerbach, Op.cit., 73.

2 Alfred Jarry, Le Surmâle, Éditions de La Revue Blanche, Paris, 1902, p 23.

لقضية من خلق من ؟ فالإنسان يخلق لذاته إلهًا يبحث عنه منذ الصغر ، ذلك الإله الموجود في مخياله والذي يجده موجود بصوره المتراكمة في الأديان، والتي بدأت بدائية للغاية لكتّابها لم ترضه يوما، فقد تطوّرت حسب مخياله وحسب تصوّراته لتضع له الأديان في كلّ مرّة صورة معينة تتفق في البداية لأنها أكثر دقة من سابقتها ثمّ يرفضها الإنسان لأنه لم يجد ذلك التطابق الوجداني الذي يبحث عنه، لذلك تجد في الدّين تيارات كثيرة تحاول إيجاد قوالب ذهنية مرضية للذات البشرية من نفس الدّين والإله والطقوس، إنه البحث عن الصورة المكتملة لله، فيصبح البحث عن الله هو صورة من صورة خلق اله ينسجم مع التصورات الإنسانية ليتجسد الإله في الأخير بصفات بشرية بل حتى الجسدية المذكورة في الكتب المقدّسة، والتي يرفضها البعض في محاولات تأويل ذلك بطرقهم الخاصة لإبعاد البشرية عن الله وإعطاءه صفة الإلوهية وهو أيضا صنع لإله بطريقتهم الخاصة، لذلك فلا وجود للإله دون وجود الإنسان "فالإنسان هو صوت الإله، الذي ينقل الصفات الإلهية إلى كلمات باعتبارها مشاعر، الإله يريد أن يُعبد ويُحمد ويُشكر، لماذا؟ لأنّ مشاعر الإنسان هي الوعي الذاتي للإله. الإله لا يشعر بذاته إلا في الإنسان، ومن خلال شعور الإنسان بالإله يتحقق الإله"¹

هكذا يبقى الإنسان محور هذه العملية المعقّدة بفضلله وُجد الإله لأن هذا الإله لا يوجد إلا في عقل الإنسان ومخياله ودون ذلك فهو غير موجود، فلا يمكن تصور وجود الله دون وجود الإنسان، فالمتدينون بصورة خاصة هم من يصنعون الآلهة ويضفون عليها طوابع تختلف ونزوعاتهم النفسية ومشاعرهم ... فهذا اله تمّت ولادته تحت النخلة بطريقة بشرية، وهذا اله يجلس على الكرسي ، وهذا ينزل من مكان ثمّ يرجع اله، وهذا اله يملك وجهًا وساقًا ويدا ومشاعر ، فهو رحيم وقوي وشديد ، وكلها صفات يضيفها الإنسان لإلهه حتى يُشبع ذاته، ويبقى في رحلة بحث

1 Ludwig Feuerbach, Op.cit, 230.

أزليّة أبدية لخلق الله بصفات متكاملة تتطابق في منظومة لتحقق كل النماذج المرجوة التي يريدّها الإنسان.

إن الإله هو الكائن الإنساني، لكنه يقدم نفسه للوعي الدّيني باعتباره كائناً منفصلاً، إن الذي يكشف عن الأساس والماهية الخفية للدين هو الحب، وذلك الذي يشكل شكله الواعي هو الإيمان. الحب يوحد الإنسان بالإله، لكن الإيمان يفصل بينهما، وبالتالي فهو يفصل الإنسان عن الإنسان، ذلك لأن الإله ليس سوى فكرة الجنس البشري في شكل أسطوري... بالإيمان يضع الدّين نفسه في مواجهة الأخلاق، والعقل، والحس الطبيعي بالحقيقة لدى الإنسان... الإيمان يعزل الإله، يجعله كائناً خاصاً منفصلاً¹.

6- الإغتراب عند فيورباخ: إن الاغتراب مفهوم جوهرى عند فيورباخ يتعلّق بفلسفة أنثروبولوجية وله دلالات نفسية عميقة، فالكثير مما نظر إليه فيورباخ يتم عبر مفهوم الاغتراب .

إنّ محاولة فهم الإنسان للطبيعة والوجود بصفة عامة يجعله دائماً في رحلة الكشف عن ما يحيط به ويتناسى جوهره وذاته التي تُعتبر محور كل هذا الجدل، فلا وجود للوجود دون حضور الوعي والعقل، فالأشياء الموجودة هي موجودة لأن هناك من يدرك وجودها، أي أنّ وجودها لا يتعلق بجوهرها بل يتعلق بالذات المدركة لهذا الجوهر ، فلا معنى لوجود الأشياء دون وجود مدرك لوجودها، والإنسان هو الجوهر الوحيد المدرك للموجودات، لكنّ الإنسان لم يعي ذلك فذهب يبحث عن من يفوقه ويتميّز بصفاته وهو لا يعلم أنه يبحث عن جوهره هو، "فالإنسان . وهو جوهر الدّين . يجعل ذاته موضوعاً، ثم يجعل مرّة أخرى ذاته

1 Ludwig Feuerbach, Op.cit, 247.

موضوعا لهذا الموضوع، فيصبح لذاته موضوعا، لكنه كائن لكائنٍ آخر¹، فهو إذا يغترب عن جوهره الذي صنعه وأصبح له موضوعا مفصولا تماما عن ذاته. الإنسان هو كائن مجسّد للاله، يعيش اغترابا عنه، كان من المفترض أن يتم تدمير هذا الاغتراب ليتعرف الإنسان عن جوهره وهذا ما يسميه فيورباخ الجوهر الأنثروبولوجي، فيتصالح معه بطريقة سليمة، لتأتي الأديان في محاولة لتدمير الاغتراب لكنها تحتال عليه وتسترجع معاني تخيلية للكائن الجدير بالعبادة، فتزيد الاغتراب عمقا وتدّعي بأنه "إيمان"، بينما حين تتعرف الذات على جوهرها فتتناسق معه عن طريق "الحب"، وهذا هو الفرق بين الإنسانية والدين كالفرق بين الاحتيال والحب.

إنّ الدين هو سبيل ناجح في وصول الإنسان للتعرف على جوهره وعن صفاته، لكنه يبقى مفصولا ومغتربا عنه طالما أنه يسلم أنه مستقل عنه وموجود خارج جوهره ووعيه، وأنّ الكشف عن الاغتراب لا يتم إلا عن طريق فلسفة وأنثروبولوجيا الدين واللاهوت، حين ينقلب الجوهر في مرآة ذاته فيصبح آخر، فالاغتراب في الأساس عند فيورباخ هو اغتراب ديني.

إنّ المجتمع يساهم بقسط كبير في الاغتراب، بل يشجّع ويحفّز عليه، في جملة معقدة من العمليات النفسية والاجتماعية، فإذا انصاع الفرد للمجتمع وضبطه وأصبح منخرطا في منظومته دون أدنى اهتمام أو رقابة وملاحظة يفقد أيضا الرقابة على ذاته وملاحظتها والاهتمام بها، لذلك يساهم الاغتراب الاجتماعي في الاغتراب النفسي ويزيد من حدّته، وعدم المقدرة على مراقبة العلاقات الاجتماعية يفرز عدم مقدرة على مراقبة النفس، بل يزيد من العجز ويُعطي الشعور الديني للأفراد الذين ينخرطون فيه لأنه يُرضي عجزهم ويسد الفراغ الرهيب.

1 Ibid., p. 148.

"إن الهوية العميقة بين الإله و الإنسان هي الوحيدة القادرة على إعطاء معنى لتماهيمهما، ذلك أن تقديس الجوهر الإلهي و تطهير الجوهر الإنساني يشكلان سياقاً مزدوجاً محكم الارتباط و إن وصية الله للإنسان – كن قديساً على شاكليتي – تفترض سلفاً تقديس الإله في الإنسان حيث تعني في النهاية أنه دعني أقدس منك و تقدس أنت بالتالي، إن تلك الأمنية للتماهي مع الإله أساسها العاطفة أو الانفعال الذي هو جواب العجز عن وضعية مغتربة"¹ فالإنسان حسب فيورباخ مغترب عن نفسه التي يراها إليها ويتوق لأن يكون مثلها متعبدا لها أملاً أن تكون صفات الإله هي صفاته، قابلاً لأوامرها مهما كانت صعوبتها أو لأخلاقيتها لأنه يستمتع لذاته المغتربة ويعتقد أنه يستمتع إلى الله.

"الإله يغضب من الإنسان العاصي ويسعد بالتائب، الإنسان هو الموحى به في الإله، ففي الإنسان يتحقق الجوهر الإلهي، في خلق الطبيعة يخرج الإله عن نفسه، وتكون لديه علاقة مع ما هو مختلف عنه، لكن في الإنسان يعود الإله إلى ذاته، الإنسان يعرف الإله، لأنه من خلاله يجد الإله ذاته، ويشعر بذاته حيثما لا توجد حاجة لا يوجد شعور، والشعور وحده هو المعرفة الحقيقية"²، وهكذا فلا مخرج من هذا الاغتراب سوى الرجوع إلى الجوهر الحقيقي ومعرفة الذات دون وسيط ديني أو اجتماعي ، إنه التعرف عن الإله المغترب عن الذات، هذا الإله الذي كان بدائياً في المراحل الأولى للإنسان حيث اغترب الجوهر وأصبح طوطماً أو وثناً أو صنماً، لكن شعور الإنسان بأن ذلك لا يُحقق انتماءه وأنه لا يعكس بحق ذاته فرفض تلك الديانات وأنتقل إلى الله الذي لا يتجسد، لتتعدى فكرة الدين إلى سلوك نفسي وأنثروبولوجي تطوّر مع تطور العقل البشري والحضارة.

1 Fabio, Cantello, "la philosophie de Feuerbach", in revue de philosophie, Paris, 1889, P 157.

2 Gash, Ardoni, "relation homme essence", in classique des sciences sociales, vol 112, P425.

إن الاغتراب عند فيورباخ مفهوم فلسفي راق، يُلخّص حقيقة حياة المتديّن بطريقة سلسة وشمولية، إنه اغتراب الأشياء عن جوهرها ووجودها في وعي آخر منفصل عنها تماما ، فتصبح قراءة جوهر الشيء قراءة وهمية ، حيث تترك الجوهر في حدّ ذاته وتركّز على صورته المزدوجة المغترية عنه، فيصبح الشيء الذي تراه غير مرئي، والذي لا تراه مرئي ، ويصبح الحيوان شيطانا، والخمر دما والحياة ممات ... إنها الأديان التي تفصل الإنسان وتفصمه عن الواقع وتخلق له أوهاما وتجعلها حقيقة مزدهرة، فيغترب الإنسان إلى أب وابن وروح وقد يتجاوز ذلك في التثليث المسيحي، وتلك العلاقات بين هذا التثليث تمثل بحق علاقات متشابكة ومعقدة بين الإنسان وجوهره، إنه فعلا إله لأنّه الأب، وإنه فعلا نبي وأبن إله لأنّه الابن، وإنه خالد لا يموت لأنّه روح القدس، هو التصور الإنساني لجوهره ومحاولة منه للارتقاء بها لكن للأسف ما يلبث حتى يسقط في فخ الاغتراب.